

# في الأدب الصيني

في الأدب الصيني

## القصة الحديثة

في الأدب الصيني

ترجمة عن مجلة الشهر الفرنسية

ليست القصة الصينية بنت الأمس، وإنما يرجع مولدها الى عهد أسرة ( Tcheau ) تشيو وكانت تسمى يومئذ (شياوشو) أي المناسبات الضئيلة، وكتابها الأولون هم لي يوكيو، وتشو، وانغ تسو، وتشنغ شي تسو.

فالاول كان من رجال القرن الرابع قبل الميلاد، والآخرون قد نبغا بعده بقرن وقصصهم كانت تستمد موضوعاتها من الاساطير والحرفات والامثال، ولبتت القصة في هذا الطور الابتدائي أمداً طويلا حتى ولي الحكم أسرة (طنغ) (٦١٨ - ٩٠٧) فدمت فيها الروح وسارت في طريق الكمال.

كان العمل الروائي في الاقاصيص والحكايات يتقدم شيئاً فشيئاً خلال القرون الخالية حتى أصبح قبيل العهد (الطونغى) مسلاة أديبة. وكان القصص على شدة قصره لايجرى على خطة مقرررة فأقره كتاب العصر الطونغى في نصابه من العناية والفن فحددوا الغاية، ورسموا الطريقة وبسطوا العمل، ودققوا التفاصيل، وجودوا

مأذكره هيرودوت من أنه وجد في مصر عند زيارته لها عشرين ألف مدينة عامرة. وقد أدت زيادة السكان طبعاً الى نقص الأجور وتفاوت الطبقات تفاوتاً عظيماً، بلغ حد التآليه للملوك، ونزل بطبقة العمال الى هاوية التسخير غير المأجور، كما يتضح من بناء الاهرام وما اليها.

ليست أحداث التاريخ فوضى لا ضابط لها كما يتبادر الى الأذهان التي تقف عند النظر السطحي، ولكنها تبدو لذي يستبطن دخالها، خاضعة لقانون محكم لا يشد، ومنطق سليم لا عوج فيه ولا التواء.

زكى نجيب محمود

الأداء، حتى أصبح أجل المظاهر في الأدب الصيني بعد أن كان موضع الزرابة والاحتقار عند اشياغ كوفشوس.

كانت الاساطير وحياة النابهين في الشرف أو النباهات في الحسن موضوع الاقصوصة من أواخر القرن السادس وأوائل

القرن السابع فكتب (ونغ تسو) (حياة امرأة قديمة) وهي أقصوصة بطلتها امرأة سحرية مغامرة صرعت ثعلبة مسحورة تحولت الى امرأة، ثم قهرت أفعوانا ضخماً كان قد اتخذ وكره في أصل شجرة،

ثم قتلت فرداً وسلحفاة فاستحالا الى انسانين أخذوا يحاضران في العلم والسحر الخ وكل مغامرة من هذه المغامرات يحكيها القصصى بنقمة، ويصدقها القارىء ببساطة. وفي النصف الاخير

من القرن الثامن ظهرت أقصوصة أخرى شهيرة، وهي أقصوصة المقام في مخدة تأليف (شن كى تسى) وموضوعها أن (لو) الخالد

أعطى أحد الشبان مخدة سحرية فدخل فيها ورأى رؤيا عجيبة يقصها فتستغرق أعاجيبها كل الحكاية. ثم ظهرت على أثر ذلك أقاصيص الابطال فلبت على أذهان القصاص والقراء حتى اليوم، فابطل

ذو السيف لا يعجزه شيء ولا تنقصه موهبة فهو طير، وله سيف يدرك ويشعر فهو في السلم يقصر ويحتفي في أنف البطل أو فنه وفي الحرب يخرج ويقتل العدو على أى مسافة يريد لها صاحبه،

وللصينيين ولوع بهذا الضرب من القصص حتى فنهضتهم الحديثة، وبجانب أقاصيص الخوارق والاعاجيب تجد سير العطاء والامراء

محكية على نمط تاريخي أو روائي أو هجائي كسيرة (لى كوى) وسيرة (ينغ - ينغ) ولكن في النادر أن تجد في الادب الصيني

حكاية أو سيرة تقوم على الواقع وحده، فالكتاب على الجملة يميلون الى تزيين الحقيقة بالمبالغة والتزويد فيجرهم ذلك الى فقد

الوحدة أو عدم التوازن أو خطأ المنزى.

أما القصة الطويلة ذات الفصول فلم تظهر إلا في عهد آل سونغ

من ٩٦٠ الى ١٢٧٩ م وهم يسمونها (بنغ هوى) منشؤها في الصين كمنشئها في سائر بلاد الشرق: رجل يسمونه (المحدث)

يقص على الناس في مجلس عام حكاية من الحكايات بالاجر، فمن فادته إذن ان يطيل الحكاية ما أستطاع ليتنفع من ورائها في

جلسات كثيرة، والجزء الذي يحكيه في جلسة من هذه الجلسات

يؤلف فصلا من فصول السيرة وظلت (الينغ هويا) على هذا النمط الأولى حتى جاء (لوبن) ١٣٣٠ - ١٤٠٠ في عهد آل يوان فجعلها فنا ، كان يقتبس موضوعاته من التاريخ ولكنه يضيف إليها وقائع وأشخاصا من عمل الخيال . وكان يصور أبطاله على نحو مايفعل القاصيون الاوريون اليوم . كتب (لوبن) عشرات من القصص ولكن أفضلها واجملها قصته المسماة (على شاطئ البحيرة) تقع في مائة فصل وتدور على مخاطرات بطل يدعى (سونغ كيانغ) مع رفاقه المائة والسبعة - وهو شخص تاريخي ورفاقه كانوا ستة وثلاثين ليس غير - وكانوا يحتلون (اليانغ شان) ثم ثاروا على اسرة سونغ الحاكمة فهاجموا مدنها وقتلوا جيشها ونهبوا مقاطعاتها وأصبحوا حكاما في هذه الارض . وهؤلاء العصاة القتاك كانوا من خيار الناس فالجأهم الى هذا الموقف عسف الامبراطور ومن هاواه من الخونة .

ولم يكن هم (لوبن) ان يخلق أشخاصا ويصف اخلاقا وانما كان همه فوق ذلك أن يرمي الى غرض أخلاقي، وتلك هي الصفة الغالبة على الآداب الصينية، فالكتابة عند كتاب الصين وسيلة الى الخلق، والشعر عند شعرائها طريق من طرق التربية . والاخلاق عند (لوبن) قائمة على الديمقراطية، فهو يؤلب الاخيار المضطهدين على الاسرة الحاكمة، ويحارب الفروق الاجتماعية بين طبقات الشعب، فلا يعترف الا بصنفين من الناس: الشجعان والاذكياء، وهؤلاء وأولئك ملزمون أن يعملوا لخير الأمة ، ولا بأس أن يعيشوا عيش اللصوص وقطاع الطرق ماداموا يذودون بذلك عن المظلومين والمحرومين .

ثم ظهرت بعد ذلك طائفة كبيرة من القصص على عهد آل (منغ) من سنة ١٣٦٨ - ١٦٦٢ م ولكن قصتين اثنتين من بينها تلفتان النظر وتسترعيان الخاطر وهما (حكاية رحلة الى بلاد المغرب، و(رهور الشر في أصيص من الذهب) فالأولى قصة وهمية كثيرة المخاطر الخارقة والأوهام العجيبة . والثانية قصة نفسية (بسيكولوجية) لمؤلف مجهول تدور على ما وقع من المخاطر الغرامية لغنى من الاغنياء سنة (١٤٠٠ منى من كنف) وهو متبطل شهوان محصن ولكنه له اخدا نا كثيرات، والقصة تعرض بالتفصيل حياة هؤلاء الخليلات الخاصة، وتشتمل على فصول من الفحش والرجم، والدنس ولكنها غاية في التحليل النفسى للمرأة، والدقة في وصف المشاهد، والتنوع في مساق الحوادث وفي عهد آل (تسنغ) ظهرت أنواع كثيرة من القصة كالقصة العالمية، ويمثلها قصة عنوانها (ثرثرة شيخ قروي يتشمس)

للقصصى (هيا كنف كيو) من كتاب القرن السابع عشر، وقصة أخرى عنوانها (حظ الازهار المنعكسة على الثلج) للكاتبة (لى فوتشن) من رجال القرن الثامن عشر، فالأولى تخوض في أحاديث شتى عن الفلسفة والكتب القديمة وأمانة الوزراء وتقوى الابناء والمكائد والفنون والطب والاخلاق وغير ذلك مما جعلها دائرة معارف هي الى الدعوى والافتراء اقرب منها الى العلم الصحيح . وأما الثانية فهي بحث علامة جليل عالم فيها كثيرا من المسائل النسائية وعلى الاخص مساواة الجنسين، وهذا في الأدب الصيني شيء جديد .

والقصة الاخلاقية ظهرت في هذا الحين، وهي تقص حكايات الممثلين والممثلات ، وتصف أخلاق البغايا والمومسات، ثم ظهرت في القرن التاسع عشر القصة الهجائية فهجم بها الكتاب على الاسرة الحاكمة التي طواها الموت، ورشقوا بسهام النقد طبقة العلماء والموظفين (Les Mandarins) . على أن الانوس القديمة كالاقتصاص الخرافية والقصص التحليلية وسير الأبطال استمرت توتى أكلها في عهد آل (تسنغ) .

تلك كانت حال القصة الصينية حينما ظهرت بواكير الثورة الأدبية في القرن التاسع عشر فتفتحت اليوم عن ادب حديث يشعر على حدائته بحقيقته ومصيره .

\*\*\*

كانت الثورة الصينية ثورة سياسية واجتماعية وثقافية في وقت معا. ففي السياسة أدت الى سقوط الملكية وقيام الجمهورية ، وفي الاجتماع أفضت الى اقتباس الاخلاق الغربية . وفي الثقافة هدت الى اكتشاف العلوم والافكار الأوربية . والفضل في هذا الاكتشاف للأديبين (ين فو) (١٨٥٣ - ١٩٢١) و(لن شو) (١٨٥٢ - ١٩٢٤) فان الاول نقل الى الصين فلسفة (هكسلي) و (ستيوارت مل) و (سبنسر) و (سميث) و (جنكس) و(جفونس) و (وستراب) و (منتسكيو) ونقل الثاني قصص (ستيفنس) و (ديكنز) و (رلترسكوت) و (كونان دويل) و (واشنطن أرفنج) و (فكتور هوجو) و (دوماس) و (بلزاك) و (سرفنتيس) و (تولستوى) فكان لما ترجمه أثر بالغ في الفكر الصيني الحديث .

فبذ الساعة الاولى فكر رسل الثورة الاجتماعية في اتخاذ القصة وسيلة للدعاية، وقد قال (ليانغ كى تشاو) وهو صحفى من المدرسة الحديثة : « يجب ان نبدأ اليوم بثورة في القصة، فاننا لانستطيع أن نخلق شعباً جديدا الا بقصة جديدة »

يؤلف فصلا من فصول السيرة وظلت (الينغ هويا) على هذا النمط الأولى حتى جاء (لوبن) ١٣٣٠ - ١٤٠٠ في عهد آل يوان فجعلها فنا ، كان يقتبس موضوعاته من التاريخ ولكنه يضيف إليها وقائع وأشخاصا من عمل الخيال . وكان يصور أبطاله على نحو مايفعل القاصيون الاوريون اليوم . كتب (لوبن) عشرات من القصص ولكن أفضلها واجملها قصته المسماة (على شاطئ البحيرة) تقع في مائة فصل وتدور على مخاطرات بطل يدعى (سونغ كيانغ) مع رفاقه المائة والسبعة - وهو شخص تاريخي ورفاقه كانوا ستة وثلاثين ليس غير - وكانوا يحتلون (الينغ شان) ثم ثاروا على اسرة سونغ الحاكمة فهاجموا مدنها وقتلوا جيشها ونهبوا مقاطعاتها وأصبحوا حكاما في هذه الارض . وهؤلاء للعصاة القتاك كانوا من خيار الناس فالجأهم الى هذا الموقف عسف الامبراطور ومن هاواه من الخونة .

ولم يكن هم (لوبن) ان يخلق أشخاصا ويصف اخلاقا وانما كان همه فوق ذلك أن يرمي الى غرض أخلاقي، وتلك هي الصفة الغالبة على الآداب الصينية، فالكتابة عند كتاب الصين وسيلة الى الخلق، والشعر عند شعرائها طريق من طرق التربية . والاخلاق عند (لوبن) قائمة على الديمقراطية، فهو يؤلب الاخير المضطهدين على الاسرة الحاكمة، ويحارب الفروق الاجتماعية بين طبقات الشعب، فلا يعترف الا بصنفين من الناس: الشجعان والاذكياء، وهؤلاء وأولئك ملزمون أن يعملوا الخير الأمة ، ولا بأس أن يعيشوا عيش اللصوص وقطاع الطرق ماداموا يذودون بذلك عن المظلومين والمحرومين .

ثم ظهرت بعد ذلك طائفة كبيرة من القصص على عهد آل (منغ) من سنة ١٣٦٨ - ١٦٦٢ م ولكن قصتين اثنتين من بينها تلفتان النظر وتسترعيان الخاطر وهما (حكاية رحلة الى بلاد المغرب، و(رهور الشر في أبيض من الذهب) فالأولى قصة وهمية كثيرة المخاطر الحارقة والأوهام العجيبة . والثانية قصة نفسية (بسيكولوجية) لمؤلف مجهول تدور على ما وقع من المخاطر الغرامية لغنى من الاغنياء (سني من كنف) وهو متبطل شهوان محصن ولكنه اخذانا كثيرات، والقصة تعرض بالتفصيل حياة هؤلاء الخليلات الخاصة، وتشتمل على فصول من الفحش والرجس، والدنس ولكنها غاية في التحليل النفسى للمرأة، والدقة في وصف المشاهد، والتنويع في مساق الحوادث وفي عهد آل (تسنغ) ظهرت أنواع كثيرة من القصة كالقصة العالمية، ويمثلها قصة عنوانها (ثرثرة شيخ قروي يتشمس)

للقصصى (هيا كنف كيو) من كتاب القرن السابع عشر، وقصة أخرى عنوانها (حظ الازهار المنعكسة على الثلج) للكاتب (لي فوتشن) من رجال القرن الثامن عشر، فالأولى تخوض في أحاديث شتى عن الفلسفة والكتب القديمة وأمانة الوزراء وتقوى الابناء والمكائد والفنون والطب والاخلاق وغير ذلك مما جعلها دائرة معارف هي الى الدعوى والافتراء اقرب منها الى العلم الصحيح . وأما الثانية فهي بحث علامة جليل عالج فيها كثيرا من المسائل النسائية وعلى الاخص مساواة الجنسين، وهذا في الأدب الصيني شيء جديد .

والقصة الاخلاقية ظهرت في هذا الحين، وهي تقص حكايات الممثلين والممثلات ، وتصف أخلاق البغايا والمومسات، ثم ظهرت في القرن التاسع عشر القصة الهجائية فهجم بها الكتاب على الاسرة الحاكمة التي طواها الموت، ورشقوا بسهام النقد طبقة العلماء والموظفين (Les Mandarins) . على أن الانواع القديمة كالاتصيص الخرافية والقصص التحليلية وسير الأبطال استمرت تؤتى أكلها في عهد آل (تسنغ) .

تلك كانت حال القصة الصينية حينما ظهرت بواكير الثورة الأدبية في القرن التاسع عشر ففتحت اليوم عن ادب حديث يشعر على حدائه بحقيقته ومصيره .

\*\*\*

كانت الثورة الصينية ثورة سياسية واجتماعية وثقافية في وقت معا. ففي السياسة أدت الى سقوط الملكية وقيام الجمهورية ، وفي الاجتماع أفضت الى اقتباس الاخلاق الغربية . وفي الثقافة هدت الى اكتشاف العلوم والافكار الأوربية . والفضل في هذا الاكتشاف للأديبين (ين فو) (١٨٥٣ - ١٩٢١) و (لن شو) (١٨٥٢ - ١٩٢٤) فان الاول نقل الى الصين فلسفة (هكسلي) و (ستيوارت مل) و (سبنسر) و (سميث) و (جنكس) و (جفونس) و (وستراب) و (منتسكيو) ونقل الثاني قصص (ستيفنس) و (ديكنز) و (رلترسكوت) و (كونان دويل) و (واشنطن أرفنج) و (فكتور هوجو) و (دوماس) و (بلزاك) و (سرفنتيس) و (تولستوى) فكان لما ترجمه أثر بالغ في الفكر الصيني الحديث .

فند الساعة الاولى فكر رسل الثورة الاجتماعية في اتخاذ القصة وسيلة للعداية، وقد قال (ليانغ كي تشاو) وهو صحفي من المدرسة الحديثة : « يجب ان نبدأ اليوم بثورة في القصة، فاننا نستطيع أن نخلق شعباً جديداً الا بقصة جديدة »

ولكن الصعوبة الوحيدة . هي اللغة . فان لغة الكتابة تختلف عن لغة التخاطب ، ولغة التخاطب نفسها تختلف في اقليم عن اقليم بل في مدينة عن اقليم في مدينة . فالمدرسة الحديثة حاولت أن تقرب بين لغة الكتابة ولغة الخطاب . ولكن أي لغة من لغات التخاطب تجعلها نموذجاً ومثلاً ؟ وهل تضطلع حروف الهجاء الصينية - وهي لحسن الحظ واحدة في جميع المدن والأقاليم - بهذا الإصلاح ؟ ان توحيد التعليم العام يقتضى لغة كتابية يقبلها كل الناس . واللغة المندرينية لا يمكن أن تكون على حالتها هي تلك اللغة . ففي سنة ١٩١١ م أسست الجمهورية الناشئة مجعاً عاماً أصلح هذه اللغة وجعلها لغة وطنية ، ثم وضع لها تسماً وثلاثين علامة صوتية ، تساعدها على الانتشار بين طبقات الشعب ، ومنذ ذلك الحين أصبح في إمكان الكاتب أن يؤلف الق قطع الأدبية ، ويكتبها بالحروف الصينية . فتتفق مع اللغة الوطنية ، وهذه اللغة المكتوبة الجديدة التي يفهمها الصينيون على السواء قد أطلقوا عليها اسم ( بوهويا ) أي اللغة الواضحة . والادب الصيني في هذه اللغة العامة لا يرجع تاريخه الى أكثر من اثنتي عشرة سنة

وليس هذا كل الاختلاف بين الادب الحديث والادب القديم . فان الفكر الصيني قد تغير جملة واحدة ، فرجال المدرسة القديمة كانوا يصرون على تقليد القدماء تقليداً دقيقاً جر عليهم الغرابة والتقيد والجفاف ، حتى جاء في سنة ١٩١٦ أحد المحدثين وهو ( هوشى ) فاقترح ثمانى وسائل لتجديد الادب القديم كانت أساساً لبناء الادب الحديث وهي (١) ألا يلجأ الادباء الى شيء من التاريخ والادب والأساطير في غضون النثر والنظم (٢) الا يستعملوا الحكم المأثورة والأمثال السائرة اتقاءً للابتدال (٣) الا يسرفوا في البحث عن الاقيسة النحوية والمقالات البيانية وعلى الأخص في الشعر (٤) الا يتجنبوا اللفاظ العامية والتراكيب الشعبية (٥) أن يعنوا أشد العناية بالانشاء (٦) الا يئنوا ما لم يحسوا في أنفسهم الحاجة الى الانين (٧) ان يعتمدوا بشخصياتهم فلا يقلدوا القدماء في شيء (٨) ألا يكتبوا إلا اذا جال في خواتمهم ما يريدون أن يكتبوه

فاذا كانت الفلسفة الصينية اليوم في وقوف ، والتاريخ غير موجود ، والانتاج المسرحى قليل القيمة ، والشعر لم ينطلق بعد من أسار التقليد ، فان القصة تنمو وتزدهر معتمدة في تجديدها وتأنيدها على ثلاثين مجلة تحملها من صفحاتها المحل الاول ، أهمها القصة الجديدة (Le Nouveau Roman) ومجلة القصة الصغيرة (magazine The short story)

القصة الصينية الحديثة واقعية (Réaliste) كالقصة الغربية فلا تأبه مطلقاً للتقاليد ولا تتصل بالاساطير والخوارق . وكتابتها لا تعوزهم اقرايح الخصبه ولبعضهم قصص جلية الشأن عظيمة الخطر ، ولكنك لا تجد فيها ذلك السحر الأخاذ ، ولا ذلك الجو الاثيرى النقي ، ولا تلك الخنة التي كانت تميز القصة القديمة وتلونها باللون الصينى الخالص . فان القصة الحديثة اقتبست من القصة الغربية الشكل والاصطلاح والروح . أيضاً ، والمشاركة شديدة بين الحكايات الحديثة في الصين وبين بعض الاقاصيص في أمريكا ، واذا قرأت حكاية (كونغ يى كى) للكاتب (لوسين) حسبها . مكتوبة بقلم شروود اندرسون

من القصصيين المعاصرين (تشنغ تسوينغ) وهو كاتب وافر الانتاج ، ويعزون هذه الوفرة الى انه يشتري قصص المفلوكين من الادباء بثمان بنجس ثم ينشرها تحت اسمه . وقد انفرد بمعالجة نوع واحد من المشاكل الاجتماعية ، وهو تضارب العواطف بين ثلاثة أشخاص رجلين وامرأة أو امرأتين ورجل وليس في قصصه أصالة فكرية ولا لأسلوبه قيمة أدبية ولكنه مع ذلك أكثر الكتاب قراء وأبدهم سمعة .

ثم (كو وموجو) وهو زعيم المذهب العمالي Ecole Proletarienne الذى يعنى اتباعه بمعالجة الموضوعات الخاصة بالفقراء الذين ، يعيشون على عملهم وهو يدير اليوم حركة الدعاية الشيوعية ضد الحكومة ، ويؤلف في سبيل ذلك الاقاصيص والروايات والخطب ولكن حظها من الفن قليل . فاذا نسى السيامة وكتب للأدب تكشف لك عن قصصى سمح القرحة واضح الطريقة .

ثم (بى شاوكيون) و(يوتافو) وهما قصصيان من الطراز الاول ، ولا يماجان غير القصة الاخلاقية ، يصفان فيها جوانب الفقر والفسق والبؤس من حياة الشعب الصينى في المدن الكبرى ثم (ينغ ناغان) وهو معدود في طبقة الكتاب الناهيين ولكن أرفع القصصيين المحدثين ذكراً أو أمماً مكتابة هو (لوسين) له مجموعتان من الاقاصيص عنوان الاولى (صرخات الحرب) وعنوان الثانية (اضطراب البال) وتتأجه على قلته موسوم بسمة الجمال والعبقرية

وسنترجم في الاعداد المقبلة قصة له وأخرى ليناغ ناغان تملان الروحين الشائمين ، والاتجاهين المختلفين في القصص الصينى الحديث .